ليلة القبض على قلبي

مجموعة قصصية

أنيس رياض لُطف الله

اسم العمل : ليلة القبض على قلبي

نوع العمل : مجموعة قصصية.

الكاتب : أنيس رياض لطف الله.

تـدقيق وإخـراج فـني: شـركة دُنـى لفنّيات تقديم المحتوى.

غلاف: أماني محمود.

إشراف عام: أسماء أبو العطا.

رقم الإيداع: ٢٠٢٣/٣٠٢٥٦

S.B.N:

978-977-87113-2-5

جميع الحقوق محفوظة للدار، وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأي وسيلة سمعية أو بصرية، وإذن كتابي من الدار يُعرِّض صاحبه للمساءلة القانونية.

ليلة القبض على قلبي

مجموعة قصصية

أنيس رياض لُطف الله

عم باتع

توفى عم باتع بائع الجرائد فجأة عن عمر يناهز الخمسين، وكانت زوجته تقاربه في السن.

أنجبا ولدين وبنتين، ولم يكن للأسرة مصدر دخل سوى توزيع الجرائد والمجلات، بالإضافة إلى قيام الزوجة التي اعتلّت صحتها بالخدمة في المنازل بعد وفاة الرجل عم باتع ولكن ورث ابنه حمدي مهنة توزيع الجرائد.

وكان حمدي في الثانية عشر من عمره يستيقظ في الصباح الباكر ويحمل حقيبة كبيرة من القماش ذات (سير) على كتفه ويحشوها بالجرائد والمجلات (أخبار وأهرام وجمهورية وروزاليوسف وآخر ساعة وغيرها).

كان حمدي يمر علينا يوميًا " في موعد لا يتغير صباحًا" لنأخذ منه الجرائد التي تربينا عليها

ولإيمانى الشديد بأهمية العلم، سألته ذات مرة عن موقفه من التعليم؛ فأجابني أنه ترك المدرسة بعد الصف الثاني الابتدائي.

فتبادر إلى ذهني سؤال: ما مصير هذا الشاب عندما يكبر ويصبح مسئولًا عن أسرة بهذا العمل الذي لا يكفي لمعيشة فرد واحد؟!

وكنا دائمًا نعطف عليه ونمنحه أكثر من ثمن الجريدة أو المجلة أضعاف المرات

وذات صباح استوقفته واقترحت عليه أن يفكر في العودة إلى المدرسة واستكمال دراسته؛ وأقنعته أن يتقدم للشهادة الابتدائية بنظام المنازل حتى يتمكن من ممارسة عمله في توزيع الجرائد والمجلات؛ ووعدته بالمساعدة قدر الإمكان.

وافق على الاقتراح؛ ومرّت الأيام وحصل حمدي على الشهادة الابتدائية بتفوق

فشجعته على مواصلة الدراسة والالتحاق بأحد المعاهد المسائية الإعدادية.

ونظرًا لذكائه وتفوقه وتقديرًا لكفاحه، قرّرت إدارة المعهد إعفاءه من المصروفات الدراسية

وكان المعهد يضم صفوة من المدرسين الأوائل، كان كل همهم تفوق طلابهم واستيعابهم للمواد الدراسية وتوصيل المعلومة

بسهولة ويسر للطلبة بما فيهم "حمدي" الذي لاقى إعجاب جميع مُدرّسيه بالمعهد وتعاطفهم نظرًا لظروفه الأسرية.

وانقطع حمدي فترة عن توزيع الجرائد نظرًا" لإنشغاله بالدراسة والامتحانات؛ ثم عاد ليخبرنا بنجاحه وحصوله على الشهادة الإعدادية بتفوق.

فشجعته على الاستمرار برحلة التعليم حتى النهاية ودراسة الثانوية العامة ثم الجامعة؛ فتحمس بالفعل والتحق بنفس المعهد في المرحلة الثانوية.

وفي أثناء ذلك أعلنت المحافظة عن مسابقة لتعيين الحاصلين على الإعدادية بالمديريات المختلفة.

فأخبرت حمدي الذي تقدم على الفور في اليوم التالي؛ وكان من أوائل المقبولين فظل يدرس بالمرحلة الثانوية بجانب عمله كموظف.

أخيرًا؛ حصل حمدي على الثانوية العامة القسم الأدبي بتفوق؛ وقرّر الالتحاق بكلية الحقوق؛ فتم تسوية حالته الوظيفية بالثانوية العامة.

وذات صباح وبعد التحاق حمدي بكلية الحقوق وجدت جريدة الأخبار تحت (عقب) بابنا ففرحت كثيرًا لعودة حمدي

لتوزيع الجرائد والمجلات بالإضافة إلى عمله كموظف وانتسابه بكلية الحقوق.

وعندما قابلته خارج من باب عمارتنا هنأته على تفوقه وإصراره وشكرني على ما قمت به معه خلال مسيرته في التعليم وأخبرني أنني صاحب فضل لما وصل إليه من تفوق.

ثم انقطعت أخبار حمدي عدة سنوات.

ولما كنت أعمل مديرًا" عامًا" لإدارة الجمعيات الأهلية بمديرية الشئون الاجتماعية، فقد تم استدعائي ذات يوم من قبل النيابة الإدارية لمناقشة بعض التقارير المالية الخاصة بإحدى الجمعيات كالعادة.

فتوجهت في اليوم المحدد إلى سراى النيابة الإدارية، وصعدت الدرج وقدمت خطاب الاستدعاء وبطاقتي الشخصية للموظف المسئول؛ الذي طلب مني الانتظار في الاستراحة المخصصة حتى يأتي دوري.

ولكن لم تمر أكثر من دقائق وفوجئت بالموظف يطلب مني الدخول فورا" لوكيل النيابة، عند اقترابي من باب وكيل النيابة لمحت اسم (حمدي نافع عبد الصبور) وكيل النيابة.

كاد قلبي أن يقفز من صدري من فرحتي وفخري بـ "حمدي" ابن عم "نافع" بائع الجرائد واستطعت بالكاد تمالك نفسي وتوقفت أمام الباب لعدة دقائق؛ ثم قرعت الباب ودخلت.

استقبلني حمدي (وكيل النيابة) بالأحضان، فقلت له وقد اغرورقت عيناي بالدموع لتعبر عن مدى فرحتي به:

- ألف مبروك وربنا يزيدك من نعمه؛ انت تستاهل الخير كله، حقيقي لكل مجتهد نصيب.

فشكرني بحرارة وطلب مني الجلوس وطلب من الساعي (اتنين قهوة مظبوط).

وأمر السكرتير بفتح المحضر.

إنترفيو

تهيأت للمقابلة وارتديت أحسن ما عندي بعد أن جاءتني رسالة على الموبايل من الشركة التي تقدمت إليها بطلب التعيين الشهر الماضي لإحدى الوظائف المعلن عنها بأحد مواقع التواصل الاجتماعي.

وفي طريقي لأستقل سيارة أجرة لتوصلني بالشركة، مرت أمامي سيارة (كيا حمراء اللون) يقودها شاب وسيم.

ولكن كان على الطريق تجمع من المياة الراكدة لم يفطن لها الشاب، فمرت عجلات السيارة الأمامية فوقه واندثرت المياه على ملابسي.

فتوقف الشاب فورًا، وركن سيارته ونزل منها واقترب مني بخجل واعتذر لي بشدة؛ قائلًا إنه مستعجل لظرف خاص ولم ينتبه لتجمع المياه الراكدة؛فقبلت اعتذاره على مضض.

وأخبرته انني لولا إنني ذاهب لمقابلة مهمة لما همّني الأمر كثيرًا.

فوجدته على الفور يفتح حقيبة سيارته ويخرج منها بدلة أنيقة بغلافها القماش قائلًا:

- أتمنى أن تقبل اعتذارى وترتدي هذه البدلة؛ تقريبًا إحنا نفس المقاس.

فاندهشت جدًا وحاولت الرفض، لكنه أصر وأعطاني رقم هاتفه لاسترداد البدلة عقب المقابلة.

دخلت أحد محلات الملابس المجاورة واستأذنت صاحب المحل في ارتداء البدلة.

ثم استأنفت طريقي إلى الشركة لإتمام المقابلة بعد أن تأخرت نحو نصف ساعة.

ولما دخلت على اللجنة برئاسة صاحب الشركة بادرني بالسؤال المتوقع:

- لماذا تأخرت عن الموعد المحدد؟

ولم يكن في وسعي سوى أن أقص عليهم موقف الشاب والمياة الراكدة والبدلة!

ففاجأنى صاحب الشركة بالسؤال عن لون السيارة ونوعها.

فأخبرته في تعجب إنها كيا حمراء،فضحك رئيس الشركة قائلًا:

-أنا برضه بقول البدلة دى مش غريبة عليا!

فضحك الحاضرين ثم قال وهو يبتسم:

- خلاص يا سيدي مع السلامة.

فقلت بدهشة:

- طيب والإنترفيو؟!

فقال وابتسامته ما زالت على وجهه:

- انت مقبول ومن بكرة تيجى تستلم وظيفتك.

فقلت بأكثر دهشة:

- إزاي يا فندم؟! بدون مقابلة؟

فأجاب:

- هو معقول تبقى لابس بدلة ابنى وأسيبك؟!

ففرحت جدًا بعد أن كنت فاقد الأمل في التعيين بعد أن تقدمت لعشرات الشركات دون جدوى.

فشكرت الله على حسن حظي، وشكرت الظروف.

و بعد أسبوع من استلامي العمل دعيت إلى مكتب مدير عام الشركة (الشاب الوسيم صاحب السيارة الكيا الحمراء والبدلة جالبة الحظ السعيد) فتبادلنا التحيّات والضحكات.

عنزة عم حسن

رحلت زوجته العجوز فجأة، ولم تترك له سوى عدة دجاجات؛ كانا يتعايشان من كتاكيتها وبيضها!

ولا عيل ولا تيّل!

وكانا يحمدان الله على الصحة والستر!

وكانت الزوجة الراحلة تجمع البيض من (الخن) كل صباح وتذهب به إلى السوق وتبيعه في أقل من ساعة؛ فلها زبونها الذي يعرفها ولا يتعامل مع غيرها، والبيض البلدي يوكل!

وفي مواسم الفقس كانت تضع البيض تحت دجاجاتها فيخرج إليها الكتاكيت التي تذهب بهم إلى السوق أيضًا فيختطفها الناس وتفرح بها.

بعد رحيل الزوجة، ظل عم حسن يقضي أغلب وقته قابعًا أمام بيته الصغير المبني من الطوب اللبن؛ والمغطى سقفه بالبوص والحطب وحيدًا مع دجاجاته وكتاكيته.

يتركهم أمام بيته الصغير يلتقطون رزقهم يأكلون ويشربون من طبقٍ اعتاد وضعه أمامهم.

ولا يفارق مغزله الذي يغزل به الصوف إلا في أوقات الصلاة وكان له زبونه يشتري منه خيوط الصوف ليصنع منها الطواقي!

والحمدلله على الصحة والستر!

ولما اتَّسع رزقه فكر في توسيع تجارته.

فاشترى عنزة صغيرة لكي يربيها على يده، ويشتري لها البرسيم والفول وفي الليل تنام جواره!

كبرت العنزة وتعلَّم كيف يحلبها ويشرب لبنها.

ولما كان يتركها أمام بيته الصغير معظم النهار؛ فقد كونت صداقات مع الجداء والمعيز التي تمر بالشارع في صحبة رعاياها وسرعان ما حملت وولدت معيزًا وملأت عليه البيت!

وخفَّفَت عنه مرارة فقد زوجته وحرمانه من الخلف!

وذات صباح وخلسة من عم حسن خرجت العنزة ودلفت إلى السوق القريبة وتاهت وسط الزحام!

فهرول عم حسن يبحث عنها يمينًا" ويسارًا" فلم يجدها.

بحث بين الخراف والجداء، فهو يعرفها من بين ألف معزة، فقد ربط خيطًا" من الصوف في رجلها الأمامية اليمنى.

لم يجدها بالرغم من كل شيء، فعرف أن هناك من استولى عليها!

وركض إلى قسم الشرطة وحرر محضر بضياع العنزة!

كتب في المحضر أوصافها والخيط الصوف المربوط برجلها

مرت الأيام ولم يعثر عم حسن على عنزته.

وذهب إلى قسم الشرطه للسؤال عن ما تم بالمحضر؛ فلم يستدل على شيء!

وفقد الأمل في العثور عليها.

حزن عليها حزنًا شديدًا؛ وبكى عليها كما لم يبكِ على زوجته!

وبعد أيام وأثناء مرور قطيع من الغنم أمام البيت تخلفت عنزة عن القطيع؛ ووقفت عند البيت وأخذت تنطح الباب برأسها حتى سمعها عم حسن وفتح لها الباب.

عرفها بدون النظر لخيط الصوف الذي في رجلها اليمنى؛ رفعها بيده إلى فوق وأخذها بحضنه وقبّلها وبكى!

فقد كانت كل حياته!

وحمد الله كثيرًا على الصحة والستر وسلامة العنزة!

صديقي الذي لا أعرفه

أثناء جولتي اليومية بشوارع المدينة؛ وبالتحديد عند ميدان السواقي، استوقفني بعد أن ركن سيارته الحمراء على الجانب الأيمن؛ أخذني بالأحضان! وظللت في حضنه لوقت طويل؛ وكان يغمرني بالقبلات الحارة وهو يقول:

- فينك يا راجل من زمان وفين أيامك الحلوة! أنت مش فاكرني؟!

ورحت أنبش في ذاكرتي للعثور عليه ولم أجده!

وخلّصت نفسي من بين أحضانه بالضالين!!

وظللت أتفرّس في وجهه ولكني لم أهتدِ إليه.

دعوته على فنجان قهوة بكافيتريا السواقي؛ فوافق على الفور

كان يبدو عمدة بجلبابه البلدي الصوف ووجاهته وشاربه المرسوم بدقة!

تحدثنا في موضوعات شتى؛ ولم يذكر كل منا اسمه للآخر؛ انا لم أعرف اسمه؛ وهو لم يذكر اسمى قط.

أخرج من جلبابه علبة سجائره (المالبورو) وأشعل سيجارة بعد أن قدّم إلى العلبة لأشاركه، فعرّفته إني لا أدخن.

وتطرق في حديثه إلى بعض الأسماء من الزمن الأول؛ وأنا طبعا لا أعرف أحدًا منهم ولكن حاولت أن أجاريه في الحديث حتى لا أحرجه!

ولما وجدته يتمادى في حديث الذكريات ويسترسل في ذكر حفنة من الأسماء لم أسمع عنها مطلقًا من قبل!

نظرت إليه نظرة ثاقبة ثم قلت له في إصرار:

- أنت متأكد فعلًا إنك تعرفني؟!

فأجاب مندهشًا:

- ازاي يا راجل دي عشرة عمر!

وبدأت أشك في ذاكرتي التي لم تخذلني أبدًا! وسلَّمت أمري لله ورجعت لمجاراته في حديث الذكريات.

وبعد حوالي ساعة؛ بعد أن جاد بكل ما لديه من ذكريات نهض واقفًا وحلف بالطلاق أن يصطحبني معه إلى بلدته القريبة من المدينة لأتناول معه طعام الغداء!

ولم يتركني إلا بعدما وعدته بزيارته في القريب العاجل؛ وتبادلنا العناوين وأرقام الهاتف على أملٍ في اللقاء في أقرب وقت.

وكنت أنوي ألا أقابله أبدًا بعد اليوم!

كيف أقابله وأذهب إلى بلدته وأنا لا أعرفه؟!

الحق إنني بدأت أخاف وأشك في الأمر.

وقبل أن ينصرف؛ انحنى بي جانبًا وهمس في أذني:

- معاك فلوس؟!

ولدهشتي لم أرد عليه فاستطرد قائلًا بنبرة خافته:

- أصلي سايب (أم على) عند الدكتور ونزلت أجيب لها العلاج لقيت الفلوس اللي معايا مش كفاية!

فهززت رأسي بعد أن تأكدت شكوكي وقلت في نفسي (دى أكيد أحدث طريقة للنصب)!

ليته ظهر على حقيقته من الأول ووفر على وعليه كل هذا الوقت و(الصداع)!

وأخرجت حافظة نقودي وأعطيته ورقة بعشرة جنيهات وقلت له بعد أن لاحظت خيبة أمله:

- هذه كل ما في جيبي؛ أنت عارف إننا آخر الشهر وما حدش معاه فلوس!

فنظر إليَّ نظرة عتاب وانسحب وهو يجر أذيال الخيبة، واستقلّ سيارته وذهب مع الريح.

وبعدها أخرجت الورقة المدون بها رقم هاتفه وعنوانه ومزقتها ودهستها تحت قدمي!

وقلت لنفسي:

- الحمد لله إنه ما عرفش ينصب عليَ، الواحد فلوسه حلال.

يوم الامتحان

بذلت مجهودًا" كبيرًا" حتى أستعد لامتحان تلك المادة، فهي من المواد الصعبة، وجميع الطلبة يعملون لها ألف حساب؛ وغالبًا ما تكون نتيجتها سيئة، لدرجة إننا اعتقدنا أن أساتذة هذه المادة يتعمدون ذلك؛ على عكس الغالبية الأخرى، يحبون أن تكون نتيجة موادهم مشرفة.

وجاء يوم الامتحان طبقًا للجدول المعلن سابقًا؛ وحيث أنني من مدينة الفيوم وأدرس بجامعة عين شمس؛ فكنت أسافر إلى القاهرة أؤدى الأمتحان وأعود إلى بيتي كي أتمكن من التركيز في المذاكرة؛ خاصة وأن أيام الامتحانات كانت ثلاث أيام أسبوعيًا.

وفي اليوم الموعود وهو يوم الامتحان دعاني صديقى المقرّب إلى السفر معه بسيارته الخاصة إلى القاهرة؛ فوافقت توفيرًا للوقت والجهد و....!

ولما كان الامتحان يبدأ في تمام الرابعة عصرًا وينتهي في السابعة مساءً بمقر الكلية (بالمنيرة) بالقرب من شارع القصر العيني، فقد غادرنا من الفيوم الواحدة ظهرًا.

عند وصولنا إلى ميدان الجيزة والساعة اقتربت من الثالثة عصرًا؛ أخبرني صديقي أنه بحوزته (طلب) كان يود أن يوصله لابنة خالته.

فقلت له بعد أن تفرست في ساعتي:

- طيب ماشي مفيش مشكلة.

ووصلنا إلى العمارة التي تسكن بها ابنة خالته، وطلبت من صديقي الانتظار بالسيارة إلى أن يعود؛ فرفض بشدة وأصر أن أصعد معه.

استقبلتنا السيدة بترحاب بالغ ووجه بشوش للغاية؛ وهي سيدة متوسطة الجمال وفي العقد الثالث من عمرها تقريبًا.

وبعد السلام وتسليمها الطلب حاولنا الاستئذان بالانصراف ولكنها رفضت بشدة؛ وأصرّت على جلوسنا قليلًا لتقدّم لنا واجب الضيافة.

فجلسنا بالصالون وكانت رائحة الطعام تزكم أنفينا !!

انتظرت أن تقدم لنا تحية سريعة؛ وللأسف لم يحدث، صاحت بصوت عالٍ من المطبخ:

- الأكل قدامه دقايق ويبقى جاهز!

ولما بدأت أتململ في جلستى وحاولت الاعتذار عن الغداء والانسحاب بهدوء لألحق موعد الامتحان حلفت السيدة (برأس أباها) أنني لن أمشى قبل أن أتناول معهم الغداء!

الساعه اقتربت من الثالثة والنصف ومازال أمامي مسافة من الجيزة إلى المنيرة.

وعلى الفور قامت السيدة بمساعدة الخادمة بإعداد المائدة التي اكتملت في دقائق وكانت تحتوي على ما لذ وطاب!

انتهينا من الغداء الساعة الرابعة إلا ربع؛ وفقدت الأمل في دخول الامتحان؛ ولكن انصرفنا بعد أن شكرنا السيدة على كرمها وحسن استقبالها.

كان صديقي يقود السيارة بسرعة جنونية؛ وكانت إشارات المرور تداهمنا بين الحين والآخر؛ حتى وصلنا بالكاد إلى مقر

الكلية في تمام الرابعة والربع بعد موعد بدء الامتحان بربع ساعة.

وعندما كنت أهرول للالتحاق بالامتحان وجدت أمام باب الكلية زحامًا شديدًا وتجمهر من طلاب دفعتي.

فخضت وسط الجموع ونظرت أمامي فوجدت آثار هدد لمبنى من مباني الكلية.

ووجدت لافتة كبيرة من القماش بعرض المدخل مكتوب عليها (لقد تم تأجيل الامتحان لأجل غير مسمى لحين توفير مكان بديل للجان الامتحانات)

حيث اتضح أن المبنى آيل للسقوط!

وحمدت الله كثيرًا على عدم ضياع مجهودي؛ وعلى طعام الغداء الشهي الذي كان من نصيبنا.

وانفرجت أسارير صديقي وتنفس الصعداء.

أعز الولد

عدنا للتو من تشييع جنازة المرحومة زوجتي؛ والحق أنها لم تكن زوجة فقط، ولكنها كانت رفيقة وصديقة وأخت وأم وابنة أيضًا.

وعند مواراتها الثرى؛ حاولت عدة مرات دخول القبر معها! ولكن منعوني الأهل والأحباء.

لم أذرف دمعة واحدة؛ ولكن قلبي كان ينزف دمًا، عدنا إلى منزل أخي الصغير الذي أصرَّ على ذلك؛ طلب مني أخي أن أغتسل وأخلد قليلًا إلى النوم لحينِ إعداد طعام الغداء.

وقد كان.

غلبني النُعاس والإرهاق، خاصة إنني مررت بعدةِ أيامٍ لم أذق فيها طعم النوم أو الراحة؛ وقت مرض المرحومة الشديد، غفوت وما زال الصراخ والنحيب يسد أذني.

رحت في إغفاءة طويلة، وعندما استيقظت بعد قرابة الساعتين أخبروني أنهم حاولوا إيقاظي عدة مرات؛ ففشلوا.

لكني صحوت كالمخمور وكمن أخذ عدة خبطات على نافوخه، أبحث عنها في جميع الحجرات كالمجنون؛ ولكني لم أجدها.

يا إلهي، إنها كانت معي في الحلم بشحمِها ولحمِها حتى صحوت من غفلتي، فهل يتبدد الحلم بهذه السرعة؟! ليتني ظللت في غفوتي إلى الأبد!

سألتني عن أحوال الأولاد، والبنات، والأحفاد، والإخوة، والأخوات، وكأنها غابت عني دهرًا كاملًا! كان تركيزها الأكبر على الأحفاد، فأعز من الولد؛ ولد الولد.

فتنبأت لحفيدي الأكبر أن يصبح مهندسًا مرموقًا؛ ولحفيدتي أن تصبح طبيبة ماهرة؛ ولحفيدي الأصغر أن يصبح مهندسًا نافعًا.

حدثتني عن مدى فرحتها عندما التقت بكل الأحباء الذين سبقوها! وفارقونا منذ أعوام طويلة، وقالت إنها لو كانت تعلم مدى الراحة التي تعيش فيها الآن بعيدًا عن الحياة الدنيا بكل ما فيها من كذب، وغش، وحقد، ورياء؛ لكانت طلبت من الله مبكرًا أن يُعجِّل بانتقالها من هذا العالم!

ولكني صحوت قبل أن استمتع بمزيد من حديثها الشيق، ورجعت إلى مخدعي محاولًا الفوز بإغفاءة أخرى، ولكني فشلت..!

الأستاذ

هو أستاذ التخطيط بكلية الخدمة الاجتماعية، ودائمًا ما يعرف نفسه بأستاذ التخطيط فقط دون ذكر الكلية، حتى في البرامج التليفزيونية التي يتم استضافته بها، حصل على الثانوية العامة (بالكاد) والتحق بكلية الخدمة الاجتماعية؛ ولكنه تفوّق واجتهد حتى حصل على البكالوريوس وعين معيدًا.

ثم حصل على الماجيستير والدكتوراة في التخطيط، وتم تدرّجه في الوظيفة حتى أصبح أستاذًا بقسم التخطيط بالكلية.

المهم إنه أسس جمعية تنمية المجتمع هو وبعض زملائه الذين ليس لهم دراية أو خبرة في مجال التنمية؛ اللهم إلا بعض الدراسات النظرية بالإضافة إلى بعض التدريبات الميدانية بجمعيات التنمية المختلفة.

وأصبح الأستاذ مدير الجمعية؛ وأصبح هو الوحيد تقريبًا الذي يدير الجمعية مع أمين الصندوق الذي له حق التوقيع على الشيكات معه.

أما باقي أعضاء مجلس الإدارة فلم يظهروا في الجمعية إلا في بعض الاجتماعات ويصرف لهم بدل حضور الجلسات بأثر رجعي سواء حضروا أو لم يحضروا!

والحق أنه باتصالاته وموقعه، استطاع وحده أن يدعم المركز المالي للجمعية عن طريق الحصول على منح وقروض وإعانات بالملايين من بعض الجهات الأجنبية ومستخدميها.

ومن المعروف أن الجهات المانحة تقوم بمتابعة الجمعيات للتأكد من استخدام القرض أو المنحة في الأغراض المذكورة تفصيلًا بالعقد المبرم بينها وبين الجمعية.

ولما كان الأمر يتطلب جهاز وظيفي يتضمن محاسبين وأخصائيين اجتماعيين وسكرتارية فقد كان يقوم (الأستاذ) بتعيينهم دون اتباع الإجراءات القانونية المعروفة عند التعيين.

ولا أحد يحاسبه ولا أحد يراقبه، وذات يوم اتصل بي على هاتفي المحمول، دون أن أعرفه أو يعرفني؛ لكنه حصل على رقم هاتفي من أحد الزملاء وطلب مني مقابلته بمقر الجمعية؛ التي وصف لي عنوانها، لأمرٍ هام!

فقلت في نفسي (اللهم اجعله خير) وذهبت إلى الجمعية التي يرأس مجلس إدارتها، قابلته ورحب بي وسألني عن قهوتي وطلبها لي ثم قال بجدية:

- سمعنا عنك وعن أمانتك وكفاءتك كتير في مجال الشئون المالية بالجمعيات الأهلية؛ توافق تتعاون معنا وتكون مسئول مالي بالحسابات؟

فقلت له وأنا أرشف آخر رشفة بفنجان القهوة:

- بكل سرور؛ ويكون لي الشرف إني أشتغل معكم.

فانفرجت أساريره واتسعت ابتسامته وقال:

- وده عشمنا فيك؛ ونكون سعداء بانضمامك لأسرة الجمعية؛ وأشكرك على الموافقة، أنا عارف إن مشاغلك كتير وإنك صعب المنال!

فقلت له مرحبًا:

- أبدًا يا دكتور؛ أنا سعيد لإنضمامي ليكم، وأتمنى للجمعية التقدم والإزدهار عشان تحقيق رسالتها السامية.

وقّعت على إقرار استلام العمل كمسئول مالي للجمعية، وعرفني على جميع العاملين، وخصص واحدة من العاملات لتكون مساعدة لي.

في اليوم التالي قدم لي ملف ممتلئ بالأوراق والمستندات الخاصة بطلب منحة من إحدى الجهات الأجنبية لإنشاء مشروع للشباب.

فتحت الملف وفحصت ما به من أوراق؛ والتي تضمّنت إقرارًا من الجمعية بمساهمتها بنسبة محدودة من قيمة المشروعات المزمع تنفيذها قبل الحصول على المنحة، وإيداع تلك القيمة بحساب الجمعية بالبنك؛ وإرفاق ما يفيد ذلك بالأوراق.

وكان أول توقيع بالإقرار هو توقيع المسئول المالي الذي هو، أنا!

بحثت عن ما يفيد أنه تم إيداع تلك المنحة بحساب الجمعية بالبنك طبقًا لشروط المنحة؛ فلم أجد!

ولما سألت الأستاذ قال لي:

- يا عم دي إجراءات صورية وغير ضرورية!

فقلت له منفعلًا:

- إزاي يا دكتور ده ضمن شروط المنحة!

فقال لي:

- يا عم وقع على الورق ولا يهمك!

ونظرًا لأني عملت بالحكومة قرابة الثلاثين عامًا ولم أوقع على ورقة واحدة صورية أو بها بيانات وهمية؛ فرفضت التوقيع، فقام سيادته وباقي أعضاء مجلس الإدارة بالتوقيع على جميع الأوراق وختمها بختم الجمعية!

وتصادف في اليوم التالي حضور لجنة من القاهرة تابعة للجهة المانحة لمراجعة الأوراق!

ولم أمانع في الجلوس مع اللجنة والترحيب بأعضاءها بعد أن طلبنا لهم غداءً شهيًا من خيرات الفيوم! وبعد تناولهم طعام الغداء (والذي منه) قدمت لهم ملف الأوراق.

سألوا الأستاذ عن قسيمة الإيداع بالبنك وتوقيع المسئول المالي! وغرق الأستاذ في (شبر مية)! وذبل وجهة وأصفر ونظر إلى كأنه يسألني (كيف نخرج من هذا المطب؟) فأشرت له فيما معناه أنه ليس هناك مخرج سوى ما طلبته منه بالأمس.

وبعد فترة صمت قال الأستاذ للجنة:

- حاضر، حاضر إن شاء الله خلال يومين أكمل الورق كله.

فقال له رئيس اللجنة:

- وإحنا مش هنقدر نعتمد الأوراق ونستلمها إلا بعد تنفيذ المطلوب!

ثم انصرفوا دون أن يقوم الأستاذ بتوديعهم!

فنظر إلى في خجل قائلًا:

- أنت كان معاك حق بس كان ممكن تساعدنا وما تطيرش المنحة من أيدينا!

فقلت له بغضب:

- أساعدكم إزاي؟ وأنا عمري ما وافقت على ورقة وهمية أو مزورة.

وبعد عدة أيام من عملي بالجمعية وأثناء مراجعتي لإحدى المشاريع الخاصة بالجمعية، وجدت بعض الإيصالات بدفاتر الإيصالات (ساقطة) وليس لها وجود طبقًا لأرقامها المسلسلة وكانت قيمة تلك الإيصالات تصل إلى عشرات الآلاف من الجنيهات في الشهر الواحد!

وعلى الفور توجهت للأستاذ لأخبره بالأمر حيث أن تلك المخالفة، مخالفة جسيمة يعاقب عليها القانون لأنها أموال دولة!

فوجدته يقول لي بمنتهى الاستهتار:

- خلاص بقى أنت هتعملها شغلانة؟!

فقلت له:

- ما على الرسول إلا البلاغ، وعلى العموم قدامكم فرصة تدوروا على الإيصالات الناقصة قبل فوات الأوان!

وعرفت بعد ذلك من مصادر موثوقة أن الأستاذ كان شريكًا مع من أدعوا فقدان الإيصالات! والاستيلاء على متحصلاتها!

كما تيقنت أنه كان أستاذًا في النصب أيضًا، وبعد عدة أيام ذهبت إلى الجمعية ووجدت إحدى العاملين بالجمعية يسلمني خطاب استغناء الجمعية عن خدماتي؛ وهو الأمر الذي كنت أنوي القيام به قريبًا، ولكن بعد العثور على الإيصالات المفقودة!

ثلاثة أيام!

بعد طول غياب جاءنا برقية من خالي المقيم بالسودان منذ أكثر من خمسة وعشرين عامًا، وقد حصل على الجنسية السودانية، وعمل وتزوج وأنجب ولم يزُرنا ولا مرة خلال تلك المدة، وأخيرًا" قرر القيام بأجازة إلى مصر في خلال الشهر القادم؛ كما أفادت البرقية بذلك.

وعمّ الفرح والسرور في العائلة والقرية كلها! وراحت الجدة وبناتها يعملن ليل نهار استعدادًا لهذه الزيارة، فقمن بتنقية القمح من الشوائب ورشة بالماء تمهيدًا لإرساله إلى وابور الطحين.

وأثناء ذلك كان جدى يحوم حولهم وينبههم بضرورة زيادة الخبز البلدي الذي سوف يقمن بخبيزه؛ حيث أنه كان من العيب أن يقوم بشراء الخبز من الطابونة!

وكانت الجدة تسأله عن سبب اهتمامه هذه المرة بزيادة الخبيز! فكان يتهرب من الإجابة وكانت تأخذ الأمر ببساطة وتصمت.

وعندما ألحت عليه في السؤال إجابها قائلًا:

- عشان العزا!

وقد كانت من عادات أهل القرية أن يقيموا الولائم عند العزاء لمدة ثلاثة أيام على روح المرحوم!

وسألته الجدة وقد سلتت يدها من العجين بصعوبة وهي مندهشة :

- عزا مين يا راجل لا سمح الله؟

أجابها بصوت خافت:

- العزا فيَّ، أصل أنا هموت وابنى هنا عشان ياخد عزايا!
- يا راجل إيه الكلام العبيط ده؟ ما أنت صحتك كويسة أهُه وزي الفل افتكر خير.

والحق أن الرجل كانت صحته زي الفل ولم يعرف المرض له طريق رغم اقترابه من الثمانين من عمره! وجهه مستدير كالقمر في ليلة تمامه وأحمر كقرص الشمس ساعة الأصيل!

وذهبنا إلى المطار واستقبلنا الضيوف في الوقت المحدد لوصول الطائرة؛ وكنا قد استأجرنا سياره لتوصيلهم بسلامٍ

إلى محافظة الفيوم ثم إلى مركز طامية حيث توجد قريتنا؛ التي استقبلنا أهلها بالزغاريد!

ووجدنا العشاء جاهز، ويتكون من كل الأصناف المفضلة لدينا ولديه، وكان الجد في غاية السعادة لاستقبال أبنه وأسرته بعد طول غياب، وباتوا ليلتهم بعد سهر وحكايات حتى مطلع الفجر!

وفي الصباح فتحوا حقائبهم وقدموا ما بها من هدايا، البن، والشاي، والكركدية، والفول السودانى بالإضافة إلى بعض الملابس للصغار والكبار من العائلة والجيران، ومبالغ مالية لبعض فقراء القرية!

وحضر وفود أكثر من القرية للترحيبِ بالضيوفِ؛ وقدّموا الدعوة للخال بزيارة منازلهم.

ووسط هذا السرور وتلك الفرحة التي جعلت الجد لا ينام الليل، ذات صباح استيقظ أهل البيت على أنين وصراخ الجد الذي شعر فجأة بالآم حادة في صدره!

وعلى الفور تم استدعاء طبيب من البندر وكشف على الجد بدقة بعد أن دخل في غيبوبة:

وهز الطبيب رأسه متأسفًا وهمس في أذن ابنه قائلًا:

- للأسف أزمة قلبية حادة ولا بد من نقله المستشفى فورًا وفي جميع الحالات هو قدامه ثلاثة أيام وهو يشير بثلاثة أصابع في يده وقال مستطردًا (وطبعًا الأعمار بيد الله).

رغم الحزن والوجوم الذي ظهر على الجميع؛ ولكن ليس هناك وقت للمشاعر؛ تم نقل الجد فورًا إلى المستشفى بالمدينة ودخل غرفة العناية المركزة وتمت عمل جميع الإسعافات والتحاليل اللازمة ولم يفق من غيبوبته!

وفي صباح اليوم الثالث لدخوله المستشفى فاضت روحه الكريمة إلى خالقها وكان وجهه كوجه ملاك! وأقامت العائلة الولائم خلال فترة العزاء؛ وكان الخبيز كافيًا وزيادة! بناء على طلب المرحوم وكان ابنه القادم من السودان في أول طابور العزاء!

المتعوس وخائب الرجاء!

اختلفا بشدة في الشهر الثالث من الزواج! وكان ذلك بعد فترة خطوبة استمرت لأكثر من ثلاث سنوات بسبب البحث عن شقة!

وأخيرًا" تم الاتفاق على بناء شقة فوق سطح المنزل المكون من ثلاث طوابق الذي يملكه والد العريس، ولكن تطلّب الأمر قرضًا من البنك بضمان المنزل؛ وتم الحصول على القرض فعلًا.

وتم بناء الشقة وتأسيسها في آخر السنة الثالثة من الخطوبة، وتم الزواج على بركة الله؛ وبعد الزواج بستة أشهر بدأت الزوجة (تزن) على زوجها لكي يكتب الشقة باسمها.

ولكن الزوج ووالده رفضا ذلك بشدة؛ حيث أن الرجل له ولدان آخران تزوجا بالمنزل ولم تطلب إحدى الزوجات هذا المطلب الغريب!

ولكن الزوجة الجديدة أصرت على طلبها وإلا تترك البيت! والزوج ووالده أصرا على الرفض، ويبدو أنه كان وراء الزوجة من يحرضها على هذا الطلب!

ولكن نصحها البعض الآخر بالتنازل خوفًا على خراب بيتها، لكنها أصرت على طلبها وركبت دماغها وإلا تترك البيت وتذهب إلى بيت أبيها.

وتركت البيت فعلًا وكانت حامل بالشهر الثالث! وقام الزوج وأهله بعمل المستحيل للصلح بينهما وعودتها إلى بيتها؛ ولكنها رفضت بتأييد والدها وأخيها!

ومرت الأيام وولدت طفلتها (هبة) ولم يرها أبوها ولم يحضر سبوعها!

وكبرت البنت وكبرت المشكلة وازدادت تعقيدًا، أشار عليه البعض برفع دعوى لطلبها في بيت الطاعة، فرفع الدعوى وخسرها، ورفعت هي دعوى بالنفقة وكسبتها! وازدادَ همًا وحزنًا، وخسَّ النصف!

وأخيرًا رفع دعوى لرؤية بنته، فحكمت محكمة الأسرة برؤيته لابنته مرة في الأسبوع، وكانت البنت تلقاه بفتور وكأنه رجل غريب! (إخص على الزمن).

وكانت أمها تخيفها منه؛ فكانت تلقاه في منزل أحد الأقارب، رغم أنه كان يغدق عليها ويقدم لها أغلى الهدايا! كان يحاول دائمًا أن يضم ابنته في حضنه ولكنها كانت تشيح بوجهها عنه؛ وكان يقبلها بالعافية والدموع تنهمر من عينه.

بعد فترة حرمته الأم من رؤيه ابنته! وذات يوم أخذها من دار الحضانة واختطفها واركبها سيارة وسط دموعها وصراخها! أخذها معه الشقة الخاوية من الحنان! وراح يراضيها بكل الطرق ولكنها لم تكف عن البكاء والصراخ!

ولم تمر ساعات حتى فوجئ برجال الشرطة تقتحم منزله ويقبضون عليه بتهمة خطف الطفلة، ويسلمون البنت لأمها بمحضر رسمي؛ ويسلمون الزوج للتخشيبة!

تم الإفراج عنه في اليوم التالي بعد أخذ تعهد عليه بعدم التعرض للطفلة مرة أخرى، ازدادت الزوجة عنادًا، وحرمته من رؤيه بنته تمامًا!

طلبت منه الطلاق أكثر من مرة ولكنه لم ينفذ لها طلبها خوفًا من زواجها من رجل آخر مما يتسبب في إذلال ابنته أكثر مما هي فيه !

وأخيرًا رفعت دعوة خلع! بسبب سوء المعاملة وأشياء أخرى! وأحضرت شهود زور على ذلك؛ حيث أنه لم يحدث ما ادعته عليه، وخسرت قضية الخلع!

وكان للزوج صديق حميم كان يحرضه على زوجته؛ وكان ذلك الصديق مضربًا عن الزواج ولكن كانت له علاقات نسائية مشبوهة، بالإضافة إلى تعاطيه المخدرات.

وكان مقطوعًا من شجرةٍ، ويعيش وحيدًا في شقته وكثيرًا ما كان الجيران يشتكون منه ومن صديقه الذي كان كثيرًا ما يقضي السهرة معه!

وكانت حياته (أسخم وأضل) من صديقه! ولم يجد أي منهم حلًا لمشكلته!

وتحققت مقولة (اتلم المتعوس على خائب الرجاء)

فرع ريحان أخضر

كان جاري وهو صديق لي، وزوجته كانت صديقة زوجتي (المرحومة) يقيم في الطابق العلوي فوقنا بنفس العمارة، هو له ابنتان، واحدة متزوجة بالقاهرة والأخرى وهي الصغرى والتي تخرجت بكلية الطب بتقدير امتياز وعينت بالجامعة لفترة؛ تزوجت وهاجرت إلى أمريكا.

كانت العلاقة قوية بيننا، حيث إننا كنا نقضي ساعتين أو أكثر كل ليلة نتبادل أطراف الحديث وفي كثير من الأحيان نتناول طعام العشاء معًا" في منزلنا أو منزلهم.

وبعد عدة سنوات هاجرت الابنة الكبرى لجاري أيضًا إلى أمريكا، فقرر جاري وزوجته الانتقال هما أيضًا بطبيعة الحال للعيش بأمريكا بعد أن أنجبت كل ابنة طفلين.

وقبل سفرهما، وأثناء لحظات الوداع أعطاني جاري نسخة من مفاتيح شقته حتى أطمئن عليها من وقت لآخر، وعرض علينا أن نأخذ أصص النباتات التي بالشرفة كي نعتني بها بدلًا من أن تذبل وتموت!

رحبت زوجتي بالفكرة، فهي تحب الخضرة والزروع وخاصة الريحان، وطلبت مني عدة مراتٍ أن أشتري لها مجموعة من

النباتات وبخاصة الريحان الأخضر ولكني لم أهتم بطلبها بحجة أن الزرع يحتاج إلى العناية.

ورفضت اقتراح جاري أيضًا ووعدته أن أصعد إلى الشقة كل عدة أيام كي أروي زرعاته وأطمئن على الشقة وأفتح بعض النوافذ للتهوية ثم أغلقها مرة أخرى قبل أن أغلق الشقة؛ فوافق وشكرني على تعبي مقدمًا.

ثم عانقناهم وتمنينا أن نراهم على خير، وحدث بالفعل إنني كنت أصعد إلى شقة جاري مرتين أسبوعيًا حتى أروي النباتات التي كانت عبارة عن ريحان، وصبار، ولبلاب، وأنواع أخرى لا أعرفها.

وعندما مرضت زوجتي (رحمة الله عليها) مرض عضال أدى إلى وفاتها بعد عدة أشهر؛ انقطعت تمامًا عن الصعود لشقة جاري بعد أن ساءت حالتي النفسية، وكان جاري دائم الإتصال بي للاطمئنان عن أحوالي.

وفي إحدى الاتصالات سألني عن الشقة والنباتات فأخبرته أنني لم أصعد منذ وفاة زوجتي! فأجابني متأثرًا:

- يا خبر أبيض. ده أكيد الزرع مات!

فأجبته بحزن:

- ما يموت! يعني هيبقى الزرع أغلى من اللي ماتوا!

فقال بعد تنهيده طويلة :

- معاك حق!

ولما كان من عادتنا زيارة الأموات في الأعياد في قبورهم؛ وكان ذلك العيد الكبير الأول الذي يمر علينا بعد وفاة المرحومة، فقد ذهبت أنا وابنتى إلى المقابر التي تبعد نحو خمسة عشر كيلو عن المدينة بسيارتها.

وسرنا عدة أمتار سيرًا على الأقدام في الطرقات؛ التي كانت مزدحمة بالزوار حتى وصلنا إلى مدفن العائلة، أحنينا رؤسنا وتلونا الصلاة فوق قبر المرحومة وعلى أرواح الأحباء، ولدهشتي وجدت فرع ريحان أخضر؛ ولم أعرف من وضعه ولكني شكرت الله على تلبية رغبتها؛ ولو حتى بعد وفاتها.

تلك الرغبة التي كان يؤرقني عدم تلبيتي لها في حياتها، أمسكت بفرع الريحان الأخضر وشممته فكان مازال ينفث أريجه المنعش!

فوضعته مرة أخرى على قبر زوجتى، وأنا أتسائل؛ هل يا ترى الأموات يشتمونه؟!

من أول نظرة

صديقي القديم وزميل الدراسة بكلية التجارة "عارف"، فضّل الأعمال الحرة وافتتح مكتبًا بوسط البلد لأعمال المحاسبة والمراجعة والضرائب، فيما فضّلت أنا العمل بالحكومة، و تم تعييني بوزارة التموين، وذات مرة قمت بزيارة صديقي القديم بمكتبه، فوجدت سكرتيرة غاية في الجمال والرقة

و كانت أول مرة أراها رغم ترددي الكثير على المكتب، أعرف بنات كثيرات، ولا واحدة منهن لفتت نظري بهذا الشكل، سألته عنها، و عرفت منه أنها حاصلة على دبلوم تجارة متوسط، و من عائلة بسيطة ولها أختين و أخ أكبر منها، ووالدها يعمل في تجارة الغلال.

تعلّقت بها لدرجة أنني كنت أحلم بها ليلًا و نهارًا، وفي ذلك الوقت عرضوا عليّ ابنة خالتي فرفضت رفضًا قاطعًا، رغم أنني قبلًا كنت أشاور عقلي، كثرت زياراتي لمكتب صديقي سواء في وجوده أو عدم وجوده.

لكني كنت ألاحظ أنها لا تقترب مني كما كنت أريد، ولا تفصح لي عن مكنونها كما يجب، المهم إنني قلت بيني وبين نفسي "هاخدها يعني هاخدها!"، وعلمت ابنة خالتي بعدولي عن الارتباط بها ولكنها لم تعرف السبب، و لكنها كانت تعرف جيدًا" أنني لست مغرمًا" بها، وبناءً عليه فتحت بابها للخطّاب، وهي مقبولة المظهر ومن أسرة ميسورة الحال وألف من يتمناها.

وأصبح كل منا في طريق، و سرعان ما تمت خطوبتها من زميل لها بوزارة التربية والتعليم و تم زواجهما في خلال أشهر قليلة، وعلمت إحدى قريباتي المتزوجة حديثًا بحكايتي مع "يسرا" و قالت لي إنها صديقة عمر وزميلة دراسة منذ الإعدادي، و لكنها لم تشجّعني على الارتباط بها و لم أعرف لذلك سببًا.

و قالت لي "ابعد عن الطريق ده، البنات على قفا مين يشيل!"

و بدأ الفأر يلعب في عبّي، وقررت أن أذهب لـ "عارف" شخصيًا" لأخذ رأيه في "يسرا"، وقد حدث:

- ما رأيك في "يسرا"؟

فترك القلم الذي كان في يده ونظر لي مبتسمًا قائلًا:

- أخيرًا وقعت؟! أنا قلبي كان حاسس بكده.

ثم استطرد ..

- الحقيقة البنت زي الفل و ما يعيبهاش حاجة، أدب، ذوق واستقامة؛ لكن أنا قولت لك قبل كدة إنها من أسرة بسيطة و..

وتوقف عن الكلام وتنفَّس الصعداء ثم قال:

- تسمح لي نشرب فنجان قهوة في الكافيه اللي تحت.

فسألته:

- وإيه سبب الدعوة المفاجأة دي؟

فقال:

- عشان تعرف تفكر كويس، وأنا كمان أريح ضميري!

وساورتني الشكوك مرة أخرى، من ماذا يريح ضميره؟! طاوعته ونزلنا إلى الكافيه كما طلب "لما أشوف آخرتها معاه!"

و طلبنا القهوة، و أثناء احتساءها وجدته يطرقع بإصبعيه لماسح الأحذية الذي يجول أمام الكافيه ليمسح أحذية الزبائن، وعلى الفور حضر الشاب مبتسمًا ابتسامةً عريضة بجلبابه الملطخ بالورنيش والأصباغ، فقام الرجل بمهمته على خير ما يرام، و أخذ أجرته بعد إلحاح شديد وانصرف.

فقلت مشيرًا برأسي على الشاب ماسح الأحذية:

- شكله ابن حلال.

فقال لي صديقي:

- تعرف ده مين؟

فأجبته بهزة من رأسي بما معناه "لا"

فقال متأسفًا كأنه كان يريد ألا يقول:

- ده "ياسر"، أخو "يسرا".

و كدت أسقط من طولي مغشيًا عليّ من هول المفاجأة، ولم أفِق من الصدمة إلا بعد حوالي عشر دقائق، وعندما فتحت عيني وجدت فنجان قهوة آخر، فقلت لصديقي بحسرة:

- ولا ١٠٠ فنجان يفوقني من الصدمة دي.
- أنا حبيت أقول لك الصراحة عشان العيش والملح اللي بيننا، و انت حر في قرارك.

و تملكتني الحيرة، وقلت لنفسي حتى لو أنا وافقت، فهل الأسرة سوف توافق على زواجي من "يسرا"؟

و هل يصح أن يكون هذا الرجل (ماسح الأحذية) خال أولادي في المستقبل؟

و الأمر لله وحده من قبل و من بعد.

الساكن الجديد

بعد الانتهاء من إنشاء البرج وتشطيبه بالكامل، قرر والدي تأجيره دون أن يبيع أية شقة بصفة التمليك، وكان يعتقد أن بيع إحدى الشقق، سوف يجعل مالكها بمثابةِ شريكٍ له في البرج، تم إسكان جميع الطوابق الأحد عشر والتي تحتوي على أربعين شقة بخلافِ الدور الأرضي فهي محلات تجارية.

تم إسكان جميع الشقق، ما عدا شقة واحدة أمام شقتنا التي نقطنها فقد رفض والدي تأجيرها و تركها خالية للظروف.

و جاء رجل من قبلي يدعى "علي همام علي" عن طريق أحد أصدقاء والدي، الذي ألح في طلب تلك الشقة له، وأخيرًا" وافق والدي على تأجيرها لمدة عام واحد، وافق الرجل ودفع المقدم و التأمين فورًا، واستلم الشقة وسافر إلى بلده.

و مرت الأيام و لم يحضر الرجل، ولم تُفتَح الشقة يومًا واحدًا، وبالطبع لم ينقل عفشه إليها، فقط وضع لوحة

نحاسية باسمه ووظيفته على الباب، حاول والدي الاتصال هاتفيًا بصديقه الذي توسط له في تأجير الشقة، ولم يتم الرد، الشقة مغلقة وخالية من الأثاث منذ تأجيرها، ولم يدفع الإيجار إلا شهر واحد مقدّم، ومر عام، ولم يظهر الساكن.

وذات يوم، جاء رجل وطلب مقابلة والدي، الذي استقبله وسمع له:

- أنا حسين جمعة، قريب "علي همام" الذي سافر الكويت وسوف يقيم هناك إقامة دائمة نظرًا لظروف عمله، و قد أعطاني مفتاح الشقة وعقد الإيجار، على أن يتم تحرير عقد جديد باسمي، ومستعد لدفع الإيجار المتأخر وكل ما تطلبه.

و أخرج من جيبه تنازلًا عن الشقة من علي همام، كما قدم بطاقته الشخصية وعقد الإيجار الموقّع من والدي.

انفعل والدي، وهاج وماج وعلا صوته، وكاد أن يطرد الرجل ولكننا هدأنا من روعه وطلبنا منه التأنّي.

قال للرجل الذي فز واقفًا ولم ينبس بكلمة:

- أنا لا شُفتك ولا أعرفك، ولا أجرت لك حاجة، ده شغل نصب.

و حاول والدي أن يأخذ منه العقد ولم يتمكن، زاد انفعاله، وأمسك سماعة التليفون وطلب بوليس النجدة؛ حضر البوليس بعد دقائق، قبل انصراف الرجل من منزلنا.

اطّلع الضابط على عقد الإيجار والتنازل غير الموثق وبطاقة إثبات الشخصية لكلا الطرفين وتأكد من والدي أن التوقيع على العقد هو توقيعه.

و قال والدي للضابط:

- أيوة يا بيه ده توقيعي، و لكن مدة العقد انتهت من سنة، و بعدين أنا ماشُفتش الراجل ده قبل كده ولا أجَّرت له شقق! وبعدين أنا ماعنديش دلوقتي شقق للإيجار، الشقة دي ابني هيتجوز فيها.

هز الضابط منكبيه وقال بمنتهى البرود:

- عمومًا إحنا هنوصل سوا لغاية القسم عشان نكتب محضر بالواقعة، ومش هنأخركم كتير.

راح والدي يضرب كفًا بكف وكان الشرر يتطاير من عينيه، وأصر الضابط على اصطحابه معه في سيارة البوليس، اتصل والدي بالمحامي الذي لحقه في قسم الشرطة، و طلب عرض الأمر على المأمور شخصيًا الذي كان زميله في كلية الحقوق، فدخلوا ثلاثتهم للمأمور الذي استقبل المحامي بحفاوة بالغة، وبدأ المحامي في عرض الأمر على سيادة المأمور الذي قاطعه قائلًا:

- ما تقولش حاجة ولا تتعب نفسك، أنا عندي كل التفاصيل!

ثم تفرس في وجه حسين، وقال له بعد أن تناول منه بطاقته الشخصية:

- أنت "حسين جمعة حسين"؟
- أيوة يا فندم.
- متأكد؟
- طبعًا يا بيه، البطاقة قدام حضرتك.

واستدعى الصول الذي كتب المحضر واستوفى التوقيع عليه من الطرفين واحتفظ بصورة البطاقة الشخصية لكل منهما

ثم استدعى شرطي وطلب منه إيداع "حسين جمعة" بالحجز

اعترض الرجل وحاول الإفلات من الشرطي و لكنه أذعن عندما هدده المأمور وأهانه، وقال المأمور وسط دهشة الحاضرين :

- وقع الفار في المصيدة !

بعد عدة أيام علم والدي من المحامي أن المدعو "حسين جمعة" الذي حاول الاستيلاء على الشقة نصاب ومجرم خطير، وأنه استولى على عقد الإيجار والتنازل من "علي همام" بعد أن هدده في الطريق الصحراوي وأشهر المسدس في وجهه، وأن بطاقته الشخصية مزورة وصادر ضده عدة أحكام وممنوع من السفر.

و قد توفي "على همام" بعد تلك الحادثة بيومين، وحضر مندوب من الشرطة وقام بتشميع الشقة بالشمع الأحمر لحين صدور أمر من المحكمة بتمكين والدي منها، وجاري محاكمة المتهم في كل قضايا النصب المنسوبة إليه.

على قد الحال

أنهيت دراستي بكلية الحقوق وحصلت على الليسانس بتقدير جيد جدًا، كنت أحلم بالالتحاق بتلك الكلية منذ حداثتي، وقد وفّقني الله في تحقيق هذا الحلم، أعلنت هيئة النيابة الإدارية عن مسابقة لتعيين وكلاء نيابة، وتقدمت لذلك الإعلان (بدون واسطة) نظرًا لحصولي علي تقدير عالي في الليسانس، واجتزت الاختبارات الشخصية بنجاح.

و كان أخشى ما أخشاه "استطلاع الرأي" الذي كان يتم عادة قبل التعيين والذي يهدف إلى معرفة السيرة الذاتية والحسب والنسب للمتقدم لتلك الوظيفة نظرًا لحساسيتها وأهميتها.

وخلال فترة جمع المعلومات عني وعن عائلتي قررت الإقامة طرف خالي بالمدينة ولم أعتّب قريتنا على الإطلاق، وكان والدي قد توفاه الله منذ عدة سنوات، ووالدتي سيدة مسنة تتقاضى معاش ضئيل من الشئون الاجتماعية.

وتعيش بمفردها بمنزلنا المتواضع بالقرية بعد زواج أختي الوحيدة من فلاح يمس لنا بصلة قرابة، والحق أننا "ناس على قد حالنا" والوالد لم يترك لنا شيئًا سوى المنزل البسيط الذي نعيش فيه، حيث كان يعمل فلاحًا أجيرًا.

و أنا صمّمت منذ صباي أن أكون شيئًا، وكنت أنجح بتفوق في جميع المراحل الدراسية حتى حصلت على الثانوية العامة قسم أدبي بتفوق كان يؤهلني للالتحاق بكليات أخرى ولكني فضّلت كلية الحقوق، كنت أسهر حتى الفجر لاستذكار دروسي على طبلية و لمبة جاز.

ولم أمل ولم أتذمر حتى أنهيت دراستي بتفوق شرفني وشرّف عائلتي، و كبرني في عيون الناس، وكانت ابنة خالتي "فؤادة" تنافسني، حيث حصلت هي الأخرى على مجموع أهلها للالتحاق بكلية الإقتصاد والعلوم السياسية، وكان لها حلم هي الأخرى، وهو أن تعمل بالسلك الدبلوماسي، والحلم أصبح حقيقة.

و ذات يوم علمت من أحد الجيران بالقرية أن سيارة ميكروباص بيضاء مكتوب عليها "هيئة النيابة الإدارية"

توقفت أمام منزلنا وكان ذلك في أثناء فترة استطلاع الرأي، ونزل منها "اثنين أفندية" وراحوا يتحدثون مع والدتي التي كانت جالسة في الشمس على الأرض أمام قفص الكتاكيت التي كانت تقدم لهم "العلفة".

و كانا يحاولا الحصول على بعض المعلومات عني و عن عائلتنا، و لم يكن الموضوع سهلًا، فوالدتي بحكم السن "سمعها تقيل"، وعندما سألوا عنهم العمدة وشيخ البلد، أجابوهما بأننا "ناس غلابة وعلى قد حالنا والواد جدع ومكافح والفقر مش عيب".

و غادر الميكروباص القرية بعد التأكد من صحة المعلومات اللازمة عن المتقدم للوظيفة، وفي خلال خمسة عشر يومًا من تاريخه، وصل خطاب التعيين على عنوان منزل خالي، وحمدت الله كثيرًا لترشيحي لهذه الوظيفة المرموقة، رغم كثرة عدد المتقدمين.

وتأكدت أن الدنيا ما زالت بخير، ولكل مجتهدٍ نصيب.

المكتوب على الجبين!

طخّوه بالنار في عز الظهر! كانوا ثلاثة ملثمين ويستقلون دراجة بخارية، وكان يجلس على مقهاه المفضّل في مدخل القرية، يتبادل النكات والقهقهات مع أصدقائه، وحقًا كان زينة شباب القرية .

تقابلوا على المقهى كعادتهم بعد صلاة الجمعة، وفي غفلة منهم و في ثوان سقط قتيلًا بعد أن ضربوه بالنار وفرّوا هاربين وسط ذهول أصدقائه والمارة.

كانت الدراجة بلا لوحة، وكان القتلة ملثّمين ولم ير أحد وجوههم، ولم يعرف أحد هويّتهم، أخيرًا أثبتت التحريات أن القتيل كانت له علاقة آثمة بابنة شيخ البلد، وعدها بالزواج أكثر من مرة ولكنه لم يوفِ بوعدِه.

أصبحت البنت كسيرة القلب والمصير، ولا حول لها ولا قوة؛ وأخيرًا أفصحت البنت لخالتها – نظرًا لوفاة والدتها منذ طفولتها– عن سرّها

و لما كانت حياة البنت في نكد وحزن ليل نهار، جف عودها وذبلت ورودها، فقد لاحظ أبوها ذلك، و تأكد بما حدث من خالتها، فاشتعلت النار في قلبه، وقرر الانتقام من "حمدان أبو أحمد" ابن ناظر المدرسة الإعدادية بالقرية، ولكنه قرر أن يسمع من البنت أولًا.

فراح يضربها ضربًا مبرحًا حتى اعترفت له بالحقيقة المرّة، هدّدها بالقتل، ولكن ليس قبل الانتقام من "حمدان"، فحدث ما حدث بمعرفة الشبان الثلاثة الذين استأجرهم شيخ البلد من قرية مجاورة، حيث تخصّصوا في ذلك بعد أن حصلوا على دبلوم الزراعة ولم يجدوا عملًا.

وكان والد أحدهم (قتّال قُتلة) هو الآخر، و هو الذي جرّهم إلى تلك المهنة، وقامت الشرطة باستدعاء شيخ البلد وابنته، حضرا في المساء، وكان الرجل يخبئ نصف وجهه بكوفية حتى لا يتعرّف عليه أحد أثناء دخوله قسم الشرطة مع ابنته.

أُخذت أقوالهما فرادًا، وتطابقت وأكّدا بعدم علاقتهما تمامًا من بعيد أو قريب بالحادث، وانصرفا، تم الاهتداء إلى القتلة الثلاثة وتم القبض عليهم وحضروا إلى قسم الشرطة مكبّلين بالقيود، وتم سؤالهم وأنكروا علاقتهم تمامًا بما حدث، حتى

بعد أن علّقوهم وتبادلوا ضربهم بالسياط حتى تورّمت أجسادهم.

ولعلم الشرطة بأن لهم سوابق من هذا القبيل، فقد أمر المأمور حجزهم حتى يتم عرضهم على النيابة للبث في مصيرهم، قرّر أهل الشاب القتيل بضرورة الأخذ بثأر ابنهم آجلًا أو عاجلًا.

ولما كان لابنة شيخ البلد الكبرى ولد وحيد بالإعدادي، فقد اتفقوا على إقامته الكاملة بمنزل عمه بالفيوم، حيث يقيم منذ تعيينه مدرسًا هناك، وتم تحويل الولد إلى مدرسة إعدادية بالفيوم هربًا من الثأر.

كبر الولد وترعرع في بيت عمه، جنبًا إلى جنب مع ابنة عمه التي تقاربه في السن.

ولما أنهيا المرحلة الثانوية، كان الحب قد نضج بينهما، وكان أهله يقومون بزيارته دائمًا وعلى رأسهم شيخ البلد، محمّلين بخيرات الله حيث منعوا الولد من دخول القرية حتى في الأعياد والأجازات خوفًا عليه.

و قد كان الولد دائم الشوق إلى أصحابه و أقاربه الذين حُرم منهم منذ نقله إلى الفيوم، كما أن بعد الولد عن والديه

الذين لم يعتد على فراقهما، قد سبَّب له الكثير من الأوجاع النفسية والجسدية، ولكن ما باليد حيلة.

التحق بكلية الخدمة الاجتماعية بجامعة الفيوم، كما التحقت ابنة عمه بكلية التربية بنفس الجامعة، وكانا يذهبنا ويعودان معًا في معظم الأيام، كان من الطبيعي أن يكون الولد للبنت والبنت للولد، وهذا ما تم فعلًا، فقد تم قراءة الفاتحة وخطوبتهما وهما بالسنة النهائية بالجامعة.

***

كعادتها السنوية، أعلنت وزارة الشئون الاجتماعية عن تعيين أخصائيين اجتماعيين، تقدّم محروس للمسابقة في نفس عام تخرّجه، قُبل طلبه، وتم تعيينه بمديرية الشئون الاجتماعية بالفيوم، و ذلك بعد اجتياز التدريب الذي أعدته الوزارة لمدة ثلاثين يومًا لجميع الذين تم تعيينهم بديوان عام الوزارات بالقاهرة.

كان الأمر يتطلب الإقامة بالقاهرة خلال مدة التدريب، نزل بأحد الفنادق بحي السيدة زينب، و كان كل صباح يتوجه لحضور التدريب ثم يعود إلى الفندق لتناول الغذاء ثم

الراحة، في العشاء يتسكع في شوارع السيدة، أو يجلس على القهوة المجاورة للفندق، وأخيرًا يعود لغرفته للنوم

وذات يوم، عاد إلى الفندق بعد يوم تدريب، و توجه إلى المطعم لتناول الغذاء، كانت المائدة ليست له وحده، و انما يجتمع حولها مجموعة من النزلاء، جلس على كرسيه، و ما أن تناول ملعقة أو اثنين من الحساء، حتى شعر بدوارٍ شديدٍ، وما هي إلا دقائق حتى سقط مغشيًا عليه بين الحاضرين.

هاجت الدنيا وماجت، وحضر طبيب الفندق فورًا، ولكنه كان قد فارق الحياة! قال الطبيب وهو مذهولًا بينما التف حوله عمال الفندق من طباخين ومشرفين:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، جاله تسمم!

و ضرب الحاضرون كفًا بكف وسط دهشتهم وعدم تصديقهم للطبيب.

و قال أحد المشرفين :

- لا إله إلا الله، طب ما كل الناس أكلت من نفس الأكل، إشمعنى هو ؟! استحالة يكون تسمم.

و على الفور حضر مندوبوا الشرطة والنيابة بعد قيام مدير الفندق باستدعائهم، وقاموا بالتحقيق مع موظفى وعمال ونزلاء الفندق فردًا، فردًا.

وقرَّرَ وكيل النيابة القبض على جميع الطباخين والسفرجية وإيداعهم بقسم الشرطة حتى عرضهم على النيابة،ولما كان بين الطباخين رجل يخاف الله، ولم يطاوعه ضميره على الكذب والإنكار، مال على وكيل النيابة، و طلب منه أن يضيف شيئًا" إلى أقواله، فأمر وكيل النيابة بانصراف جميع من أمامه فيما عدا ذلك الرجل:

قال الرجل هامسًا:

- أنا يا سعادة البيه هقول الحق اللي يريح ضميري ورزقي على الله!

فهز وكيل النيابة رأسه وكأنه عثر على ضالته.

استطرد الرجل:

- أنا من يومين، لقيت رجل طويل وعريض لمؤاخذة ولابس بلدي، بيتكلم مع الشيف "مرتضى" على جنب و قال له (تاخد كام وتنفذ اللي قُلت لك عليه) ومن غير ما يتردد طلب منه عشرة آلاف جنيه! ومن هنا

لهنا وصلت لسبعة آلاف جنية، واداله مبلغ في إيده – مش عارف قد إيه يابيه – وقال له ده العربون وبعد التنفيذ تاخد الباقي..

استدعى وكيل النيابة الشيف "مرتضى" من الخارج، وواجهه بتلك الأقوال، فانهار واعترف بكل شيء! وقال إنه وضع له السم في طبق الحساء، وتم تسجيل أقواله، وأمر وكيل النيابة بالقبض عليه وتشريح الجثة قبل تسليمها لأهل المتوفي.

و آخر النهار، ازدحم مدخل مشرحة زينهم بأهل القتيل وبعض أهل القرية الذين لم ينسوا أن لشيخ البلد حفيدًا، وتم تسليم الجثة، وكانت الأم والخطيبة وبعض النسوة يتمرغن في التراب وقد لطخن وجوههم بالطين،وحاول شيخ البلد اسكاتهم ولكن بلا جدوى.

سواد الليل

امتد به العمر حتى تجاوز التسعين، كان مديرًا للحسابات بشركة تجارية كبرى تعمل في تجارة الأخشاب، حتى وقت قريب وبعد إحالته للمعاش من الحكومة، و يقال أن الذين يمارسون مهنة المحاسبة لا يفقدون الذاكرة بسهولة، ولكنه أصيب "بالزهايمر" منذ وقت قريب.

في بعض الأوقات يتذكر أحداث وقعت منذ سنوات بعيدة، ويذكرها تفصيليًا، وفي أوقات أخرى ينسى ماذا أكل أو شرب في يومه، وبالرغم من حالته التي "تصعب على الكافر"، كان الناس يحسدونه على خلوه من أي مرض ظاهر.

أولاده وبناته تزوجوا من زمن، كما تزوج أولادهم وبناتهم، وجاوز عدد أحفاده الأربعين حفيدًا! توفت زوجته الأولى، ثم الثانية وهو في الستينات من عمره، وظلَّت بناته يقمن بخدمته حتى بعد أن تزوجن.

لكن في أوقات كثيرة يجد نفسه وحيدًا، فيغادر البيت ويتسكع في الشوارع بلا هدف حتى يقابله أحد الأقارب أو

المعارف، فيسحبه كطفل بريء حتى بيته الذي غالبًا ما يكون بابه مفتوحًا" على مصراعيه، وفي حالة غيابه عن البيت، تدب حالة طوارئ بين أولاده وبناته وأحفاده الذين يتفرقون على الشوارع والحوارى والأزقة للبحث عنه حتى العثور عليه.

أحيانًا يجدونه في أحد المقاهي أو أحد بيوت المعارف، وكان الناس يستضيفونه على سبيل الثواب عارفين أنه لا خوف منه، فهو ضعيف السمع لذلك غالبًا لا يرد على من يكلمه، قليل الكلام وإذا تكلم فلا يقول جملة مفيدة.

و ذات مساء، توجهت إحدى بناته إلى بيته كالمعتاد بعد أن فرغت من قضاء احتياجات بيتها وزوجها وأولادها، فوجدت الباب مفتوحًا، دخلت إلى الداخل وظلت تبحث في جميع الحجرات، فلم تجد له أثرًا، فقامت بعمل اتصالاتها بأخوتها وأخواتها للبحث عنه في الأماكن المحتمل وجوده بها.

لم يعثروا له على أثر حتى جاوزت الساعة العاشرة مساءً، وبدأت الوساوس تساورهم لدرجة أنهم سألوا عنه في المستشفيات وأقسام الشرطة فلم يستدلوا عليه.

***

و في تلك الليلة اجتاز شوارع وحوارى حتى وجد نفسه أمام فيلا المستشار "حمادة النادي"، وبدون دعوة جلس بجوار البواب النوبي على دكته الخشبية! احترمه البواب إكرامًا لسنه، و حاول الحديث معه و لكنه كان يتهته ولا ينطق بجملة مفيدة، أشفق البواب على حاله، و قدم له كوبًا من الشاي فشربه وشكر الرجل بأن وضع كفّه على صدره و هز رأسه مبتسمًا.

في حوالي الحادية عشر مساءً، حضر سيادة المستشار بسيارته المرسيدس الفارهة البرتقالية اللون من نادي القضاة كعادته كل ليلة، وجد الرجل جالسًا مع البواب الذي هب واقفًا ليفتح الباب الحديد على مصراعيه حتى يدخل سيادة المستشار الذي سأل:

- مين الراجل ده يا عم "حمدون".
- و الله ما اعرف يا سعادة البيه، أنا لقيته فجأة جه وراح قاعد جنبي على الدكة.

فتوجه المستشار إلى الرجل و ألقى عليه التحية، و لكنه لم يرد، فسأل البواب قائلًا:

- هو ماله مش بيرد التحية ليه؟ هو أخرس؟
- و الله ما أعرف يا سعادة البيه، هو كدة من ساعة ما جه، منطقش بكلمة واحدة.
- ده باين عليه ابن ناس، يمكن يكون مريض ولا حاجة، روح هات له حاجة ياكلها، ولا أقولك هاته معايا.

واصطحبه المستشار إلى داخل الفيلا وأشار له بالجلوس على أحد المقاعد بالصالون، أحضر له ورقة وقلم وسحب أمامه منضدة صغيرة و أشار له بأنه يكتب، تناول القلم و مال على الورقة حتى كاد أن يلمسها بأنفه نظرًا لضعف بصره، بالكاد كتب اسمه وعنوانه.

انفرجت أسارير المستشار، وعلى الفور أخرج هاتفه المحمول و طلب أحد أصدقائه المقيم بنفس الشارع الذي به العنوان

و تعجب عندما سأله عنه صديقه فأجابه:

- هو وصل عندك؟! ده راجل طيب وأولاده قالبين الدنيا عليه، مسكين عنده "الزهايمر"، تحب أتصل لك بحد من أولاده ييجي ياخده؟

- لا لا مـافيش داعي، خليـه عنـدي الليلـة والصـباح رباح، هبعت معاه السواق يوصله لغاية البيت، أنت بس طمن أولاده إن الرجل عندي وهيكون في بيته في الصباح الباكر.

قدم له عشاءً فاخر، وجلبابًا فضفاضًا، وأشار له على حجرة المسافرين ليقضي فيها سواد الليل.

البعيد عن العين!

انقطعت أخباره وخطاباته عنّا في أعقاب حرب ٦٧ حتى بعض زملائه في الميدان الذين كانوا يجدون فرصة للنزول إلى مصر لم يأتوا ليطمئنونا عليه، ومرّت الأيام، والشهور، والسنين، ونحن على هذا الحال، أمه، وزوجته، وأولاده لم تكف عيونهم عن الدموع، أم وزوجة وثلاثة أولاد في مراحل التعليم المختلفة.

والحق أن المصنع الذي كان يعمل به بحلوان لم ينقطع شهرًا واحدًا عن صرف مرتبه وإرساله لنا مع أحد الزملاء، وكان مدير المصنع يقول دائمًا يكفي أنه يدافع عنا وعن وطننا الغالي مصر، وظل الحال على ذلك قرابة الثلاث سنوات ولا حسّ ولا خبر.

لم نترك مكانًا إلا وسألنا عنه فيه ولم نصل لشيء، ذات يوم حضر زميله بالمصنع ليوصّل لنا مرتب الشهر، وأخبرنا أنه ورد للمصنع خطابًا مسجلًا من القوات المسلحة يفيد بأنه مفقود و لم يتم الاهتداء إليه، ومرفق مع الخطاب شيك باسمي، أنا والده.

صرفت الشيك وسلّمت قيمته لزوجته لسد احتياجات أولاده الذين حرّموا من أبيهم دون سابق إنذار، كثرت زيارات زميل المصنع للسؤال عن الأولاد، خاصة بعد علمه بأن زميله مفقود، وذات مرة اصطحب زوجة ابني إلى وزارة الداخلية لإنهاء بعض الإجراءات الخاصة بمعاش المفقود!

بعد عودتها لاحظنا أن حالتها النفسية قد تغيرت إلى الأفضل

و كانت تتحدث عن إنسانية وأخلاق زميل زوجها، بصفتي رجل كبير وعندي ما يكفي من خبرة بالحياة، عرفت أنها وقعت في حبه و نحن ما زلنا في تلك المحنة، وبعد أيام جاء العريس ليتقدّم للزواج منها.

رجل غريب يدخل على زوجة ابني الوحيد وأولاده ؟!

رفضت بشدة، لكن الناس لامونى خاصة وأن البنت صغيرة وفي حاجة هي و أولاده إلى رعاية و حماية، وكان كل خوفي على أحفادي من معاملة زوج الأم، رغم أنه أكَّد أكثر من مرة أنهم سيكونوا بمثابة أولاده؛ وتم الزواج على خير وسلامة، ورفضت الزوجة بشدة الإنجاب خوفًا من التفرقة في المعاملة بين الأخوة.

***

بعد عدة شهور من العام الرابع، قامت الجرائد المحلية بنشر كشوف بأسماء المفقودين وأسرى الحرب، و كان اسم ابني ضمن الأسرى بإسرائيل، بعد التأكد من وجوده على قيد الحياة، أقمنا الأفراح بعد أن قبلنا فيه العزاء عند إعلان فقده !

و تم تبادل الخطابات بيننا عن طريق الصليب الأحمر والهلال الأحمر دون علمه بزواج زوجته، وتناقلت الصحف أخبار الإفراج عن الأسرى قريبًا بعد تدخّل الأمم المتحدة، وما هي إلا أيامًا معدودة حتى أرسل ابني خطابا" بأنه تم الإفراج عنه و حدد لي اليوم الذي سوف يصل فيه إلى وطنه مصر.

لم يتصور الزوج الثاني أنه قادر على مواجهة زميل عمله عندما يعود من الأسر و يجد زوجته في أحضانه! وبعد تفكير طويل، قرر أن يطلّق زوجة ابني، ولاقى القرار راحة من جميع الأطراف وفعلًا تم الطلاق بالثلاثة، وعاد ابني إلى أحضان زوجته وأولاده.

حلمت لكَ حلماً!

تم تعييني بإحدي مأموريات الضرائب العامة بالقاهرة، ونظرًا لظروفي العائلية التي تحتّم إقامتي بالفيوم، كنت أقطع مسافة حوالي مائة وعشرين كيلومتر يوميًا في الذهاب ومثلها في العودة، حيث أصل إلى منزلي في حوالي الساعة السابعة مساءً.

و بعد قضاء التدريب اللازم وفترة الاختبار، تقدّمت بعدة طلبات لنقلي إلي إحدى مأموريات الضرائب العامة بالفيوم، وما أكثرها.

لكن طلباتي كانت دائمًا تُرفَض، سلّمت أمري لله، وكنت أستيقظ في الفجر، حتى أصل إلى عملي في المواعيد المحددة،ناهيك عن نفقات المواصلات التي تلتهم حوالي نصف مرتبي الشهري !

و كنت أرفق في طلبات نقلي أبحاث اجتماعية تظهر بأني أعول أسرة مكونة من والدة مسنة تحتاج إلى علاج شهري، وزوجة لا تعمل تفرّغت لتربية الأولاد الثلاث، ولكن لا مُجيب!

اجتهدت في عملي وأخلصت له وقلت في نفسي، النقل سوف يتم في وقته؛ و ذات صباح، و أنا في الطريق إلى مكتبي، استقبلتني إحدى الزميلات مهللة وهي تصيح قائلة:

- أبشر، لقد حلمت لك حلمًا!

فسألتها مندهشًا:

- خير اللهم اجعله خير.
- خير .. تعال.

ودخلنا المكتب وجلسنا على كرسيين بالقرب من مكتبي، وهمست في أذني حتى لا يسمعها أحد، و كان الحلم كالتالي :

كنت جالس على مكتبي، و جاء رجل طويل وعريض، وملابسه بيضاء، وجهه ساطع مثل القمر وشعره طويل منسدل على كتفه، اقترب مني وجلس على الكرسي الذي أمام مكتبي وقال:

- هات الطلب.

فارتبكت و لم أفهم قصده، فكرر مرة ثانية بنفس اللهجة:

- هات الطلب، طلب النقل.

و بسرعة البرق كتبت طلب نقل جديد وقدمته له، فالتقط قلم أحمر من أمامي، و أشر على الطلب "موافق .."

أخذتني الدهشة والحيرة، و قلت في نفسي "من ذا الذي يوافق على نقلي بهذة السرعة و هذة السهولة؟"

وقمت للبحث عن عامل البوفيه لأطلب له التحية ورجعت فلم أجده! فسألت الموجودين بالمكتب، فقالوا لي "لسه خارج حالًا."؛ فخرجت من المكتب ثانية ورحت اتلفت يمين ويسار للبحث عنه ولم أجده، فندمت على خروجي من المكتب أول مرة.

كنت مذهولًا عند سماعي تفاصيل الحلم، فسألت زميلتي قائلًا :

- وبعدين ؟
- وبعدين صحيت من النوم، أنا أحلامي مش بتخيب أبدًا، أبشر .. هاتتنقل، هاتتنقل.

في صباح اليوم التالي، استدعاني وكيل أول الوزارة، وعندما دخلت مكتبه سألني على الفور قائلًا :

- عملت إيه؟
- عملت إيه في إيه يا فندم؟
- عملت إيه في النقل؟

فأجبته مندهشًا:

- ما حضرتك عارف يا سعادة الباشا إن طلبي اترفض كذا مرة، رغم ظروفي اللي حكيتها لحضرتك.

فسأل للمرة الثالثة:

- وبعدين عملت إيه؟
- ولا حاجة، هعمل إيه؟ سلمت أمري لله.
- لا لا، أنت لازم عندك واسطة كبيرة اتدخلت في الموضوع.
- أنا واسطتي ربنا يا سعادة الباشا.
- و نعم بالله، فيه حد كبير خلص الموضوع، ألف مبروك، تمت الموافقة أخيرًا على نقلك!

- إزاي وإمتى؟!
- امبارح بس، وآدي يا سيدي الجواب اللي جاني من مكتب السيد الوزير بالموافقة على نقلك الفيوم ، ألف مبروك، نتمنى لك كل التوفيق ونسمع عنك كل خير، ونبقى نشوفك.

تهلَّلت نفسي بالفرح وشكرته على هذا الخبر السار، وعلمت فيما بعد أنه لعب دورًا كبيرًا في الموافقة على نقلي، و لكن الفضل الكبير يرجع إلى الضيف الكريم – بطل الحلم - الذى زارني بالمكتب و أشر على طلب النقل، ولم أكن أعلم أن له هذا السلطان الذي حرّك الأقلام والقلوب لتوافق على طلبي بعد أن فقدت الأمل.

وتوجهت إلى مكتبي و شكرت الزميلة الفاضلة التي حلمت لي هذا الحلم المبارك، و كدت آخذها بالحضن لولا أنها سيدة! رُحت ألملم أوراقي استعدادًا لتسليمها، و اتخاذ الإجراءات اللازمة لإخلاء طرفي، وحمدت الله الذي لا ينسى أحدًا، فهو الذي قال "أنا لا أتركك ولا أهملك".

شارع عزبة جعفر

دفعني الشوق والحنين الجارف إلى زيارة الحي القديم الذي تربينا وترعرعنا فيه ثم تركناه منذ قرابة نصف قرن من الزمان، والحق أننا لم نترك الحي القديم بإرادتنا، لكننا تركناه نظرًا لقرب قدوم أقارب لنا من أستراليا، والحي القديم لم يكن يليق بهم.

وعند وصولي شارع "عزبة جعفر"، كان عندي أمل في لقاء بعض الجيران أو الأصدقاء القدامى، بدأت أسأل كل من يقابلني عن الأسماء التي ما زالت عالقة في ذاكرتي والتي تلح علي بشدة للسؤال عنها والاطمئنان عليها، ولكن للأسف، كنت كلما أسأل عن أحدهم يداهمني الجواب الصادم "تعيش أنت، البقية في حياتك."

وما أكاد أفيق من الصدمة، حتى تداهمني صدمة ثانية وثالثة حتى فقدت الأمل في وجود أحدهم، واصلت السير وأنا في شبه غيبوبة، حتى توغلت داخل الحي، وجدت كل شيء قد تغيّر أو تلاشى.

و كان أغلب الذين رأيتهم يتفرسّون في وجهي وكأني من كوكب آخر! غريب وظهر في الحي فجأة، كنت أخففُ عنهم وطأة الحيرة عندما أبادرهم بالسؤال عن فلان أو علان من الزمن الأول.

رغم أني كنت أتوقع الرد مقدمًا، وأحسست بالغربة في الحي الذي قضيت فيه طفولتي، فلم أعرف أحدًا ولم يعرفني أحد، وندمت كثيرًا على تلك الزيارة التي سببت لي كثيرًا من الأشجان، أخيرًا اهتديت إلى زوجة وأبناء أحدهم ويدعى "إبراهيم محمود" الذي كان يلعب معنا أيام الصبا.

كانت جدته لوالده تقطن معنا في نفس العمارة، ولم تكف عن البكاء على ابنها "محمود" الذي وافته المنية في عز شبابه، ولما كان "إبراهيم" يقضي معظم النهار في بيت جدته، فقد تعرفّنا عليه وأصبح واحد من "شلّتنا"، عرّفتهم بنفسي، فاستقبلوني بالترحابِ على اعتبار إنني (من ريحة الحبايب) وسرعان ما دبّت الألفة بيننا.

عرفت من زوجة "ابراهيم" أنه توفي منذ حوالي عشرين عامًا، و أشارت إلى شاب واقف بجوارها قائلة "بعد ولادة الوالد ده بسنتين".

فقلت لها:

- الله يرحمه، الولد فيه شبه كبير من إبراهيم الله يرحمه
- لأ ده الولد الكبير صورة طبق الأصل من إبراهيم.

كان الحديث أمام محل بقالة ملك السيدة، وبجواره محل هواتف محمولة ملك أولادها، وقبل أن انصرف حضر الولد الكبير من عمله، حيث يعمل موظفًا بإحدي المصالح الحكومية، زادت دقات قلبي عند رؤياه! سبحان الله! فعلًا إبراهيم طبق الأصل! عرّفتنا والدته على بعضنا، فأخذني بالأحضان و فرّت الدموع من عينه وهو يقول:

- كإني شفت أبويا النهاردة!

وأصرَّ على اصطحابي إلى البيت لتناول الغذاء مع زوجته وأولاده والتعرّف عليهم، ولكني اعتذرت ووعدته بتكرار الزيارة، وانصرفت لمواصلة جولتي داخل الحي لعل وعسى اهتدي إلى أحد الكبار الذين عاصرتهم و عاشرتهم أيام الطفولة والصبا.

قسمة ونصيب

هاجرت الأسرة المكونة من الوالدين وثلاث بنات إلى "كندا" منذ زمن بعيد، والبنات كبرن وترعرعن هناك، تخرجن في إحدي الجامعات، الأولى مهندسة والثانية صيدلانية والثالثة طبيبة أسنان؛ تزوجت الأولى والثانية من شقيقين هاجرا حديثًا، والجميع مصريين، جمعتهم الصدفة في ولاية واحدة، بل في حي واحد.

و لأنهم من وطن واحد، فقد اقتربوا من بعض جدًا وأصبحوا كأسرة، مما خفف عليهم وطأة الغربة والبعد عن الأهل والأحباب، ولما كان للشقيقين شقيق ثالث يعيش مع والديه بالقاهرة، وهو في العقد الثالث من عمره ويشغل منصبًا مرموقًا، فقد رشّحوا له الأخت الثالثة للزواج، هي مهذبة، وجميلة، وخفيفة الظل.

قد رآها آخر مرة منذ عامين عند نزولها مصر في أجازة مع الشقيقين وزوجاتهما وأولادهما، وكان قد تم اتصالًا هاتفيًا بين الأخ الأكبرو أخيه المقيم بالقاهرة بشأن أخذ موافقته المبدئية في الارتباط بشقيقة زوجته وهي أفضل من غيرها (واللي نعرفه أحسن من اللي منعرفوش)، فوافق بكل سرور.

كما أن زوجته لمّحت لأختها بذلك، فوجدت منها قبولًا رغم فارق السن، وأصبح هناك شبه اتفاق بين الطرفين، ولكن الأمر يتطلب بعض الوقت ليدرس كل منهما الآخر، وكانت الفرصة مواتية عند نزولهم أجازة، و قيام أسرة الأشقاء الثلاثة باستضافتهم وعدم الموافقة على نزولهم بأحد الفنادق بالقاهرة.

كانت (العروس) تستيقظ مبكرًا مع عريسها المنتظر لتعد له الإفطار قبل ذهابه إلى عمله وتودعه حتى باب الشقة! وتم الاتفاق على أن تتم الخطوبة، والزواج، والإقامة بـ"كندا"، فقد بدأ يسعى لإتخاذ الإجراءات اللازمة للهجرة.

وبالفعل تم تقديم الأوراق المطلوبة للسفارة، وتم تحديد موعدًا للمقابلة أكثر من مرة ولكن تم رفض طلبه، ولم يعرف لهذا الرفض سبب، رغم استيفاء جميع الأوراق المطلوبة، وقام بعمل جميع الطرق والمحاولات ولكن بدون فائدة.

خيّم اليأس وخيبة الأمل على الجميع، واضطربت دقات القلوب، وضاع الحب الوليد وهو في مهده، أذرفت العيون كل ما لديها من دموع، و حبست القلوب كل ما فيها من أوجاع، ولكنه النصيب.

ليلة القبض على قلبي

أشرفت على الأربعين من عمري و لم اتزوج و لم أفكر إطلاقًا في موضوع الزواج، تزوَّجَ زملائي وأصدقائي جميعًا؛ الحالة المادية ميسّرة، الصحة عال العال، المركز الوظيفي مرموق والحمدلله، أنا نفسي لم أعرف سبب لعدم زواجي! أي نعم وقتي مضغوط بين عملي وهواياتي الكثيرة.

أنا رسام، وتلك الهواية تدر عليَّ دخلًا كبيرًا، فأنا خريج كلية الفنون الجميلة، لي برنامج بإحدى القنوات الفضائية، ولي معجبين ومعجبات، لي أصدقاء كثيرين من الجنسين، وبعض الصديقات يتحرّقن شوقًا للاقتراب مني!

وأنا ودن من طين وودن من عجين، غرقان في مشاغلي، توفيَ والدي رحمة الله عليه، وتزوَّجَ جميع الأخوة والأخوات الأكبر والأصغر مني، وأصبحت في البيت الكبير وحدي.

كثيرًا ما كنت أتلقى الدعوة من الأصدقاء لحضور حفلات الخطوبة، الزواج، وأعياد الميلاد، ونظرًا لأني أحب التصوير

الفوتوغرافي، كنت أسحب الكاميرا وأُلبي تلك الدعوة وأقوم بتصوير الحفل من قبل المجاملة.

ذات مرة ودون سابق معرفة، رقّ قلبي لإحدى المدعوات في حفل خطوبة، ومن إعجابي بها التقطت لها عدة صور في أوضاعٍ مختلفة، والحق أنها كانت غاية في الجمال والذوق والأدب

سألت عنها وعرفت أنها غير مرتبطة، وعلمت أيضًا أنها في العشرينات من عمرها، كانت رزينة وقليلة الكلام، راح يتنافس عليها أحد الحاضرين وكان شابًا وسيمًا، ولكنها لم تعره اهتمامًا، وكانت نظراتها موجهة لي وحدي كالسهام!

قام أحد الحاضرين بغناء أغنية (عقبالك يوم ميلادك) للعندليب الأسمر، وعندما أتى إلى الجملة التي تقول (يا مفرقين الشموع قلبي نصيبه فين) طفرت الدموع من عيني وندمت على الأيام التي ضاعت من عمري.

تم افتتاح المعرض السنوي الخاص بي بكلية الفنون الجميلة بحضور سيادة المحافظ وآخرين من قيادات المحافظة، وفي اليوم التالي للإفتتاح وفي أثناء استقبال الزائرين، فوجئت بها

من بينِهم، وعلمت فيما بعد أنها من عشاق الفن، وتتابع جميع المعارض الفنية رغم أنها طالبة بالهندسة.

أول ما لفت نظرها، الصورة التي رسمتها لها ووضعتها في صدر المعرض؛ وشكرتني، لم يخطر على بالي أبدًا أن أطلبها للزواج نظرًا لفارق السن بيننا، و كنت في حيرة من أمري.

ولما حكيت لبعض أصدقائي المقربين، كانت نصيحتهم لي أن أطلبها للزواج، وقلت في نفسي، لماذا لا أخوض تلك المغامرة؟

أرسلت لها إحدي الصديقات لتنقل لها حبي وتحياتي وتعرف رأيها في الزواج مني، ولكنها أخبرتني في اليوم التالي – متأسفة – أنها رفضت بشدة وقالت لها "يظهر إنه فهمني غلط، ده مجرد إعجاب بشخصه و فنه، و لم أفكر أبدًا في الزواج حاليًا منه أو من غيره، وأتمنى له كل السعادة مع من سوف تكون من نصيبه."

حزنت جدًا، كما لم أحزن من قبل، و ندمت ثانية على ما فات من عمري! وتمنيت السعادة للوحيدة التي قبضت على قلبي و لم أستطع الفرار منها!

الفهرس

عم بائع	٤
إنترفيو	٩
عنزة عم حسن	١٢
صديقي الذي لا أعرفه	١٥
يوم الامتحان	١٩
أعز الولد	٢٣
الأستاذ	٢٥
ثلاثة أيام	٣٣
المتعوس وخائب الرجاء	٣٧
فرع ريحان أخضر	٤١
من أول نظرة	٤٤

الساكن الجديد	٤٩
على قد الحال	٥٤
المكتوب على الجبين	٥٧
سواد الليل	٦٤
البعيد عن العين	٦٩
حَلِمتُ لكَ حُلماً!	٧٢
شارع عزبة جعفر	٧٧
قسمة ونصيب	٨٠
ليلة القبض على قلبي	٨٢